المحددات السوسيو ثقافية للنجاح في شهادة البكالوريا في النظام التربوي الجزائري

د. بن صافية عائشة

قسم علم الاجتماع بجامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله

ملخص

أوردت التقارير العالمية للتعليم للجميع أن التقدم في المسارات التعليمية والوصول الى التعليم الثانوي يساهم في تحقيق الافراد للنجاح في شهادة البكالوريا، التي تعبر عن نجاح الانظمة التربوية في تعليم وتكوين أفرادها، ومساعدتهم على الاندماج الاجتماعي والمهني، وبالتالي ضمان مساهمتهم في التطوير الاقتصادي لمجتمعاتهم. وقد أولى النظام التربوي الجزائري أهمية كبيرة لشهادة البكالوريا منذ أول دورة تنجزها المدرسة الجزائرية سنة 1963، من هذا المنطلق نحاول تفسير وضعية شهادة البكالوريا بالمجتمع الجزائري عبر تحليل تاريخي وسوسيو ثقافي لسيرورتها، معتمدين على نتائج النجاح في شهادة البكالوريا منذ الستينات الى غاية الالفية الثالثة.

الكلمات المفتاحية: التعليم الثانوي، البكالوريا، النجاح، التعليم للجميع، النظام التربوي الجزائري.

Résumé

Les rapports mondiaux sur l'Education pour tous précisent que les progrès dans les parcours de formation et l'accès à l'enseignement secondaire contribuent à la réussite des personnes au baccalauréat. Cette réussite reflète le succès des systèmes éducatifs dans l'enseignement et la formation de ces personnes ainsi que dans leur intégration sociale et professionnelle, ce qui engendre par conséquent la contribution de ces derniers au développement économique de leurs sociétés. Le système éducatif algérien accorde une grande importance au Baccalauréat et ce, depuis la première cession effectuée par l'école algérienne en 1963. Dans cet article, nous essayons de cerner le statut du baccalauréat dans la société

Abstract

The baccalaureate exam represents a knowledge case of socio cultural nature that is of interest to the whole community as it offers a qualitative shift to the individual intellectually, socially and economically. It is the result of a scientific effort that culminates with the success of the individual, his family, and his school, and thus the whole system. This emphasizes the close relationship between the success of the certificates of education and the development that contributes to the achievement of a sound citizenship of the individual and helps in developing his abilities and his society, according to the findings of the various global reports of Education.Achieving success in the baccalaureate demonstrates the success of

the educational systems in the completion of the elementary and secondary education of its members, and thus their social integration, which has become the biggest success of communities in integrating their children and provide for them .In fact, the educationa system in Algeria has given importance to this certificate since the first baccalaureate accomplished in the Algerian school in 1963 .From this point ,we are trying to interpret and analyze the situation of the baccalaureate exam in the Algerian society through a cultural and socio-historical reading of the exam basing our study on the results of success since the sixties until the third millennium .

Keywords: baccalaureate, success, integration, educational system, Algeria

algérienne à travers une analyse historique et socio culturelle en s'appuyant sur les résultats obtenus au baccalauréat depuis les années soixante jusqu'à la troisième miliaire.

Mots clés : enseignement secondaire, baccalauréat, réussite, education pour tous, système éducatif algérien.

مقدمة

عمل النظام التربوي الجزائري على الاهتمام بشهادة البكالوريا والانتقال بها تدريجيا لتتماشى مع مستلزمات التربية الوطنية عبر سلسلة إلاصلاحات التي ما فتئت تشهدها هذه الشهادة، ذات الارتباط الوثيق بالتعليم الثانوي الذي عرف إصلاحات متواصلة، ومحاولات إرساء قواعد مدرسة جزائرية هدفها التأسيس لمواطنة حقيقية تعنى بالفرد تقنيا ومعرفيا، وتعمل على إمداد الاقتصاد الوطني بالكفاءة والخبرة التي تساهم في إلاقلاع الاقتصادي والتنمية الاجتماعية الشاملة للفرد والمجتمع.

إن تمكين كل الأفراد من العلم والتكوين بالمجتمع الجزائري ما كان ليتحقق لولا ديمقراطية التعليم الذي عملت الدولة الجزائرية على تجسيده ميدانيا منذ استرجاع السيادة الوطنية عبر مفهوم إجبارية ومجانية التعليم (1976) ثم مفهوم التعليم إلالزامي (2008) الذي صاغه إلاصلاح الأخير.

ليكون النظام التربوي الجزائري بذلك قد سبق الإعلان العالمي بجو ميني سنة (1990) الذي أسس لمفهوم «التربية للجميع» والذي طالب دول العالم بضرورة تمكين جميع أفرادها من التربية دون أي تمييز، والعمل على مساعدة مختلف شرائح الأطفال في المجتمع على تنمية مواهبهم وقدراتهم ومساعدتهم على التفتح والنجاح، والاهتمام بهم منذ إلتحاقهم بالمدرسة إلى غاية إتمامهم التعليم الأساسي أو القاعدي ومرورهم بمرونة إلى التعليم الثانوي (تقرير الرصد العالمي للجميع، التعليم للجميع هل يتقدم العالم في المسار

الصحيح، 2002)، الذي يعمل بدوره على مساعدة الفرد على الاستعداد للنجاح الدراسي والمهني الذي يتوج بالنجاح في شهادة البكالوريا التي تعتبر بمثابة حلقة هامة في المسار التعليمي للتلميذ ؛ حيث يمثل النجاح في هذه الشهادة رهان للأسرة والمؤسسة التعليمية والمنظومة التربوية ككل لأنها تعكس نجاح التلميذ ونجاح أسرته ثقافيا واجتماعيا.

لتعمل بذلك شهادة البكالوريا على الاستجابة للاحتياجات الاجتماعية والفردية من خلال الوظائف الثلاثة للنظام التربوي والمتمثلة في: «وظيفة نقل المعارف، وظيفة الانتفاء، وظيفة تمرير المعايير والقيم الاجتماعية» لتساهم بذلك في ترجيح وظيفة الاندماج الاجتماعي الذي يرتكز على فكرة أن التمدرس السليم والتعليم النوعي يمثل أول موجه للتلاحم الاجتماعي. (Oget, 1993)

إن النجاح في شهادة البكالوريا يمثل حالة معرفية ذات صفة فردية واجتماعية في آن واحد وهي بمثابة محطة سوسيو تربوية تتوقف عندها الأنظمة التربوية عبر العالم للتقييم والنهوض بنوعية التعليم بما يضمن للأفراد النجاح وتحقيق التكوين المناسب من خلال اكتسابهم مهارات التواصل والقدرة على حل المشكلات الحياتية بما يضمن لهم أن يعيشوا حياة مزدهرة ومنتجة وممارسة مواطنة سليمة وحياة كريمة في مجتمعاتهم كما تقر بذلك الأعراف والمواثيق الدولية. (Oget, 1993, p5)

وقد ساهمت الاصلاحات التي عرفها النظام التربوي الجزائري في تعزيز مصداقية المدرسة كإطار اجتماعي للمعرفة منتج للنجاح الثقافي والاجتماعي عبر النجاح في شهادة البكالوريا، هذه الشهادة التي ما فتئت تأخذ مكانة هامة على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي، حيث تعتبرها منظمة التربية والثقافة والعلوم OCDE بمثابة مقياس عالمي يقاس به جدارة وفعالية الأداء التربوي للمجتمعات، بل نجاح هذه المجتمعات في تحقيق مخرجات ذات كفاءة من حيث التكوين العلمي والثقافي وكذلك النجاعة الاقتصادية.

غير أن شهادة البكالوريا baccalauréat عرفت مسار تاريخي لتطورها حسب دافيد أوجي David Oget الذي أرجعها إلى مصطلح bachelier المستعار من مفردات الزراعة ثم الفروسية، والذي كان يشير بفرنسا إلى الأجر الذي يتقاضاه الفلاح مقابل عمله اليومي، ثم أصبح يخص الخادم الذي كان يطمح أن يصبح فارسا وفي الأخير إلى المتمرن بصفة عامة. (Oget, 1993)

بعدها ظهر المصطلح بصفة دائمة وواضحة مع نابليون، الذي أنشأ «دار التربية» عن طريق الأمرية الملكية 17 مارس 1808 حيث تأسس امتحان البكالوريا، الذي أصبح يحضر للدخول إلى المدارس العليا. وقد كان أغلب المتحصلين على هذه الشهادة منحدرين من العائلات التي كانت تكون النخبة الاجتماعية حيث لم يتجاوز عدد المترشحين لأول بكالوريا في التاريخ 31 مترشح، واشترط أن لا يتعدى سنهم 16 سنة، ولم يتضمن الامتحان سوى الاختبارات الشفهية في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والمفكرين اليونانيين واللغة اللاتينية.(لبنى زعرور، 2004)

ومنذ سنة 1808 اعتبرت شهادة البكالوريا مفتاح الولوج للدراسات الجامعية لتعرف العديد من التغيرات والتعديلات التي أعطتها الصيغة الحالية عبر مختلف الأنظمة التربوية بالعالم.

ولعل حركية المجتمعات الغربية فيما بين الحربين جعلت التعليم يكتسي أهمية كبيرة بالنظر للتطور التقني الذي أدت إليه تطور المعرفة، حيث أصبح العلم يحتل مكانة مرموقة على مستوى الوعي الجمعي والفردي، وأصبح الاهتمام بالفرد يمثل أولوية لدى هذه المجتمعات التي جعلت من التعليم آلية ثقافية واقتصادية لمرافقة الفرد نحو النجاح والتطور وإرساء قواعد الاندماج الاجتماعي لجميع الأفراد بالمجتمع، مما جعل تعداد المتمدرسين يتضاعف في زمن قياسي نظرا للتحول الديموغرافي الذي حدث جراء الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

مع العلم أن فترة الخمسينيات من القرن الماضي كانت فترة تحول عميقة على المستوى الاجتماعي والثقافي حيث إرساء ديمقراطية التعليم وتقديس قيم العلم والمعرفة في ظل انفجار مدرسي كبير، واهتمام بنوعية التعليم المقدم بالمدارس والثانويات من طرف الأنظمة التربوية خاصة بقاء واستمرار المتمدرسين بالتعليم إلى تحقيق النجاح في إحدى الشهادات، وبالأخص شهادة البكالوريا التي نالت الاهتمام الأكبر بالنظر لموقعها بين نهاية المسارات التعليمية العادية والتوجه نحو التعليم العالي حيث أوضح ادموند قوبلوا سنة 1925 Edmond Goblot في دراسته الحاجز والمستوى، La barrière et le niveau كيف يتحول المصير الاجتماعي للفرد الحامل للبكالوريا حيث يصبح بموجب ذلك فردا منتميا للطبقة البرجوازية، باعتبار انه يتمتع بالشرعية العلمية من خلال الشهادة التي نالها من الدولة التي اعترفت بقدراته

الفكرية مما يخول له الانتقال إلى النخبة التي تقود المجتمع وبالتالي يتغير قدره الاجتماعي وقدر عائلته كذلك. (Edmond Goblot, 1925)

وقد عمل النظام التربوي الجزائري على الاهتمام بشهادة البكالوريا جملة الإصلاحات التي مافتئت تشهدها المدرسة الجزائرية منذ تأسيسها سنة 1963 .

1. الهدف من الدراسة

بهدف تقديم صورة سوسيو ثقافية لفعل النجاح الدراسي بالمجتمع وباعتبار النجاح فعل فردي واجتماعي في أن واحد، سنعمل عبر هذه الدراسة على تقديم مسح إحصائي لتطور النجاح في شهادة البكالوريا بالنظام التربوي الجزائري من خلال إجراء تحليل سوسيو تربوي لتطور هذه الشهادة مع تفسير السياسات التربوية التي ساهمت في تسييرها وتسيير الوضعية التربوية بالمجتمع الجزائري منذ العشرية الأولى للاستقلال إلى غاية الألفية الثالثة.

2. منهج الدراسة

اعتمدنا في انجاز هذه الدراسة على المنهج المسحي الوصفي والذي يعنى بوصف وتحليل الظواهر الاجتماعية كميا وكيفيا، أي بجمع بيانات ومعلومات موضوعية مع وصفها في إطارها الزماني والمكاني حتى نفهم حقيقتها ونتمكن من التنبؤ بما يمكن أن يعدل ويحسن من الوضع القائم، حيث تمثل البيانات الرسمية مادة خام لتحليل وتفسير الظواهر أي أن وصف البيانات الرسمية للنجاح في شهادة البكالوريا وتحليلها في إلاطار الذي أنتجت فيه يساهم في فهمها وتفسير وضعها في المجتمع، لذلك تعتبر البيانات حقيقة كمية تنتظر التحليل والتفسير كغيرها من الظواهر سواء كانت إجتماعية أم ثقافية أم تربوية.

3. البيانات

تمثل البيانات الرسمية أحسن وصف للظواهر الاجتماعية لذلك فإننا سنعمل على تفسير وتحليل ظاهرة من الظواهر التربوية المتمثلة في ظاهرة النجاح في شهادة البكالوريا، بالاعتماد على قاعدة البيانات لوزارة التربية الوطنية والتي تنتجها مديرية الإحصائيات كل سنة دراسية مقدمة بذلك بنك المعطيات للباحثين في الظاهرة التربوية.

4. كرونولوجيا شهادة البكالوريا بالنظام التربوي الجزائري

سنعتمد في تفسير وتحليل وضعية النجاح في شهادة البكالوريا بالنظام التربوي الجزائري على كرونولوجيا سير هذه الظاهرة بالنظام التربوي الجزائري من خلال عشريات ذات صبغة سوسيو تربوية مرتبطة بشكل مباشر بحركية المجتمع الاقتصادية ومشروعه التنموي باعتبار التعليم قاطرة التنمية.

1.4 شهادة البكالوريا خلال الستينيات

تتميز ستينيات القرن الماضي بالنسبة للمجتمع الجزائري بالتغير الجذري حيث التحول التاريخي الذي أحدث القطيعة مع الماضي الكولونيالي ذات الخامس (05) من شهر جويلية من سنة 1962. حيث شهد المجتمع الجزائري بموجب ذلك تحولات اقتصادية وسوسيو ثقافية قادتها الدولة الوطنية الناشئة، فكانت تلك النقلة النوعية التي دخل في إطارها المجتمع الجزائري، حيث الطموحات والآمال الكبيرة بالبناء والتشييد المعتمدة على التعليم كقاعدة أساسية لإقلاع الاقتصادي والتنمية الشاملة.

وقد انطلقت المدرسة الجزائرية بمخلفات نظام تعليمي اتسم بالانسحاب الشامل للمكونين والمدرسين الأوروبيين مع قلة المدرسين الجزائريين، بالإضافة لوضعية مادية مزرية في الهياكل القاعدية التربوية وبالأخص منها الثانويات، والتي كان انتشارها عبر التراب الوطني غير عادل والتي لم يتجاوز عددها «39 ثانوية منها 05 متقنة، أما بالنسبة للمدرسين فقد قدر عددهم بـ : 532 مدرس جزائري، و684 مدرس أجنبي» (مديرية الإحصائيات وزارة التربية الوطنية) وهذه الوضعية سيتأطر في إطارها المتمدرسون المسجلون بالتعليم الثانوي طيلة عشرية الستينيات والتي كانت نتائجهم في شهادة البكالوريا كما يلي :

جدول رقم(1) نتائج البكالوريا خلال الستينات

	الجملة			بكالوريا التعليم العام			بكالوريا التقنية		
	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة
1963	3173	1428	45,00	3173	1428	45,00	...	...	...
1964	4942	1751	35,43	4942	1751	35,43	...	...	...
1965	6086	1763	28,97	6086	1763	28,97	...	...	...
1966	4491	1279	28,48	4491	1279	28,48	...	...	...
1967	5778	1682	29,11	5778	1682	29,11	...	...	...
1968	8248	2520	30,55	7758	2346	30,24	490	174	35,51
1969	7492	4430	59,13	6547	3786	57,83	945	644	68,15
1970	...	5973	...	...	5214	...	...	759	...

المصدر: مديرية إلاحصائيات لوزارة التربية الوطنية

يظهر الجدول رقم (1) نتائج النجاح في شهادة البكالوريا خلال عشرية الستينيات من القرن الماضي حيث قدرت نسبة النجاح في أول دورة للاستقلال سنة 1963 بـ: 45 ٪، ليبدأ بعدها العد التنازلي في نسب النجاح منذ دورة 1964 حيث قدرت نسبة النجاح فيها بـ : 35.43 ٪، ليتواصل التراجع في نسب النجاح في دورات 1965 و1966 و1967 حيث تراوح معدل النجاح فيها مابين 28 ٪ إلى 29 ٪، إن هذه النتائج لا يمكن فهمها دون وضعها في إلاطار السوسيو تاريخي الذي أنتجت فيه، حيث قلة المعلمين الجزائريين والانسحاب الحاد للمعلمين الأوروبيين، ومحاولات إيجاد البديل من خلال جلب معلمين متعاونين من الدول الصديقة والشقيقة ؛ في ظل السعي الحثيث للدولة الوطنية الناشئة تأسيس نظام تربوي يستجيب للتطلعات التنموية للمجتمع الجزائري عبر جملة إلاصلاحات التنظيمية والهيكلية، حيث شهد التعليم الثانوي تطورات تدريجية أهمها كان استحداث ما يسمى بـ : بكالوريا التقني لتتويج المسار المهني(وزارة التربية الوطنية، دراسة حول إعادة هيكلة التعليم ما بعد إلالزامي في الجزائر، تقرير 2005) وقد قدرت

نسبة النجاح في هذا النوع من البكالوريا بـ:35,51 ٪ سنة 1968 في حين سجلت بكالوريا التعليم الثانوي العام نسبة 30,24 ٪، لتشهدت سنة 1969 أكبر نتيجة في النجاح في بكالوريا التعليم الثانوي التقني والتي قدرت نسبتها بـ:68.15 ٪ وسجل التعليم الثانوي العام بدوره نسبة 57,83 ٪. وقد كان الهدف من استحداث نمط التعليم التقني ربط مخرجات النظام التربوي بعجلة التنمية للاقتصاد الوطني «الذي تبنى الطرح الصناعي».

2.4 شهادة البكالوريا خلال السبعينات

اتسمت فترة السبعينات بحراك سوسيو ثقافي كبير مفعم برغبة المجتمع والدولة الجزائرية في إلاقلاع الاقتصادي عبر مشروع تنموي متكامل كان فيه النظام التربوي يحتل موقعا مركزيا، مما جعله يشهد إصلاحات هيكلية وتنظيمية مست جميع الأطوار التعليمية والتي توجها صدور أمرية 16 أفريل 1976 المتضمنة تنظيم التعليم والتكوين في الجزائر ونشر المرسوم الرئاسي المتضمن التنظيم الجديد للتعليم الثانوي(وزارة التربية الوطنية، دراسة حول إعادة هيكلة التعليم ما بعد إلالزامي في الجزائر، تقرير 2005)، وقد سجلت عشرية السبعينات نتائج البكالوريا التالية :

جدول رقم(2) نتائج البكالوريا خلال السبعينات

	الجملة			بكالوريا التعليم العام			بكالوريا التقنية		
	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة
1971	. ..	6455	...	...	5480	...	...	975	...
1972	...	6077	...	...	5026	...	...	1051	...
1973	17012	8268	48,60	14719	6921	47,02	2293	1347	58,74
1974	20151	7592	37,68	17845	6166	34,55	2306	1426	61,84
1975	...	12797	...	...	11219	...	...	1578	...
1976	30603	6787	22,18	27206	5618	20,65	3397	1169	34,41
1977	39597	9458	23,89	36451	8197	22,49	3146	1261	40,08
1978	51945	12617	24,29	48453	11385	23,50	3492	1232	35,28
1979	75964	17197	22,64	71154	15473	21,75	4810	1724	35,84
1980	53439	13353	24,99	49780	11783	23,67	3659	1570	42,91

المصدر: مديرية الإحصائيات لوزارة التربية الوطنية

يظهر الجدول رقم (2) تطور نسب النجاح في شهادة البكالوريا في مرحلة السبعينات التي اتسمت بهيمنة بكالوريا التعليم الثانوي التقني التي عملت على الاستجابة لتطلعات التنمية الاقتصادية ذات التوجه الصناعي، حيث شهدت سنة 1973 تسجيل نتائج حسنة في التعليم التقني الذي قدرت نسبته بـ: 58.47 ٪، بينما سجل التعليم الثانوي العام نسبة 47.02 ٪، وهي تتقارب مع النتائج المسجلة في مرحلة الستينيات، غير ان التراجع في التعليم الثانوي العام سيبدأ منذ سنة 1974 حيث سجل نسبة 34.55 ٪، بينما يواصل التعليم الثانوي التقني الحفاظ على النتائج الحسنة من خلال تحقيقه لنسبة 61.64 ٪، وهي نتيجة ايجابية بالنسبة للتكامل مع المشروع التنموي الوطني؛ وخلال دورات البكالوريا لسنوات 1976، 1977، 1978، 1979، 1980، يبقى التعليم الثانوي التقني محافظا على معدل النجاح والذي تراوح مابين 35 ٪إلى 40 ٪، أما نتائج التعليم الثانوي

العام فقد عرفت تدهورا في نسب النجاح خلال نفس الدورات حيث تراوحت مابين 20 ٪إلى 23 ٪، وهذه النتيجة يفسرها الاهتمام الذي حظي به التعليم التقني وتوظيف مخرجاته في التنمية الاقتصادية.

3.4 شهادة البكالوريا خلال الثمانينات

عرفت بداية عشرية الثمانينات استحداث كتابة الدولة للتعليم الثانوي والتقني، كما تم إلغاء التعليم التقني ذو الطور القصير في سنة 1984، مع إعادة هيكلة شاملة للتعليم الثانوي العام والتقني ومضاعفة عدد الشعب لتصبح 28 شعبة في ظل وضع ديموغرافي مدرسي يشبه الانفجار الديموغرافي المدرسي الذي عرفته أوروبا في نهاية الخمسينيات، جراء إجبارية ومجانية التعليم التي صاغتها أمرية 16 أفريل 1976 التي دخلت حيز التنفيذ والتي أدت إلى ارتفاع عدد المتمدرسين المقبلين على شهادة البكالوريا والتي كانت نتائجها كالتالي:

جدول رقم (3) نتائج البكالوريا خلال الثمانينات

	الجملة			بكالوريا التعليم العام			بكالوريا التقنية		
	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة
1981	75777	28586	37,72	70805	25922	36,61	4972	2664	53,58
1982	84767	17911	21,13	79793	15776	19,77	4974	2135	42,92
1983	104853	20963	19,99	98928	18730	18,93	5925	2233	37,69
1984	117060	29627	25,31	109707	26858	24,48	7353	2769	37,66
1985	127892	38018	29,73	112625	32727	29,06	15267	5291	34,66
1986	138211	35084	25,91	125849	30902	24,55	12362	4902	39,65
1987	183389	35219	19,20	149034	24920	16,72	34355	10299	29,98
1988	211352	51630	24,43	166870	40402	24,21	44482	11228	25,24
1989	275733	50933	18,47	220461	39615	17,97	55272	11318	20,48
1990	291508	61173	20,99	257511	52933	20,56	33997	8240	24,24

يظهر الجدول رقم (3) نتائج البكالوريا خلال عشرية الثمانينات والتي اتسمت بالتراجع الحاد في النتائج بشكل عام حيث سجل التعليم الثانوي العام في دورة 1981 نسبة 36.61 ٪ بينما حافظ التعليم الثانوي التقني على نتائجه والتي قدرت بـــ: 53.58 ٪، وبقى التعليم الثانوي التقني محافظا على معدل النجاح خلال دورة 1982 حيث سجل نسبة 42.92 ٪، في حين سجل التعليم الثانوي العام تراجع حاد في النتائج وصلت الى 19.77 ٪، وخلال دورات 1983 و1984 و1985 و1986 و1987 يبقى التعليم الثانوي التقني محافظا على معدل النجاح والذي راوح نسبة 35 ٪، بينما نتائج التعليم الثانوي العام تستمر في التراجع مسجلة أدنى النسب خاصة في دورة 1987 حيث وصلت النتائج الى 16.72 ٪، ومنذ دورة 1988 ستتراجع نتائج التعليم الثانوي العام والتقني على السواء حيث راوحت 20 ٪ بالنسبة لكلا النمطين من التعليم.

لقد اتسمت هذه الفترة بازدواجية التوجه على المستوى التنظيمي المتمثلة في اعادة الهيكلة، أما على المستوى البيداغوجي فإن تطبيق نظام النسب في الانتقال في جميع الاطوار جعل أفواجا معتبرة من التلاميذ تصل للمرحلة الثانوية، مما تسبب في تضاعف عدد المتمدرسين وعدم قدرة الهياكل القاعدية استيعاب العدد الهائل من التلاميذ الذي وصلوا للاقسام النهائية دون التكوين القاعدي المطلوب وهذا ما جعلها عرضة للفشل نظرا لحاجز البكالوريا ذو التقويم الصارم والموضوعي.

4.4 شهادة البكالوريا خلال التسعينات

اتسمت مرحلة التسعينات بإصلاحات تنظيمية وتقويمية كاستجابة للضغط الاجتماعي الذي أصبح يعاني منه التعليم الثانوي، خاصة وان نظام الانتقال الآلي على مستوى كل الأطوار والعمل بالنسب قد بلغ ذروته لتظهر نتائجه بشكلي جلي خلال امتحان البكالوريا الذي كانت نتائجه كالتالي:

جدول رقم(4) نتائج البكالوريا خلال التسعينات

	الجملة			بكالوريا التعليم العام			بكالوريا التقنية		
	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة
1991	373920	71768	19,19	335836	63988	19,05	38084	7780	20,43
1992	279180	63164	22,62	226013	51609	22,83	53167	11555	21,73
1993	351498	42109	11,98	317073	35085	11,07	34425	7024	20,40
1994	275921	49386	17,90	261946	43321	16,54	13975	6065	43,40
1995	278883	54185	19,43	253095	52442	20,72	25788	1743	06,76
1996	331243	76439	23,08	296313	71324	24,07	34930	5115	14,64
1997	328040	87107	26,55	293989	80916	27,52	34051	6191	18,18
1998	334596	78407	23,43	299340	71830	24,00	35256	6577	18,65
1999	344391	84874	24,64	309457	76520	27,73	34934	8354	23,91
2000	339686	109690	32,29	306968	99089	32,28	32718	10601	32,40

المصدر: مديرية الإحصائيات لوزارة التربية الوطنية

يظهر الجدول رقم (4) نتائج شهادة البكالوريا خلال عشرية التسعينيات حيث تشابهت نتائج دورات 1991 و1992 مع نهاية الثمانينيات سواء في التعليم الثانوي العام أو التعليم الثانوي التقني، ولعل أسوأ نتيجة سجلها التعليم الثانوي كانت خلال دورة جوان 1993 والتي قدرت نسبتها بـ11.98 ٪، ليسجل التعليم التقني نتيجة كارثية خلال دورة جوان 1995 والتي قدرت بـ:6.76 ٪،

وقد اتسمت هذه الفترة اتسمت بتراجع نتائج التعليم الثانوي التقني خلال دورات 1996 و1997 و1998، لتتتراوح مابين 14.64 ٪ الى 18. ٪، أما التعليم الثانوي العام فإن نتائجه فإنها ستتراوح مابين 20 ٪ الى 27 ٪، غير أن سنة 1998 ستشهد اجراءات تقويمية صارمة في اتجاه كل الاطوار حيث سيدخل المنشور 1011/ 1998 حيز التطبيق والذي ينص على تدابير تقويمي من شأنها التكفل بالتلاميذ ذوي الصعوبات التعليمية في جميع

الاطوار ومرافقة اقسام الامتحانات ودعمها بيداغوجيا، مما سيؤثر إيجابيا على النتائج في الدورات اللاحقة والتي عرفت تحسنا ابتداء من سنة 2000 حيث سجل التعليم الثانوي التقني نسبة نجاح قدرت بـ:32.40٪ وسجل العليم الثانوي العام بدوره نسبة 40.28 ٪، وعليه فقد عرفت هذه الفترة إصلاحيين متتاليين، حيث اتسمت بإعادة الهيكلة التي شهدها التعليم الثانوي وذلك سنة 1991 والتي أسفرت عن تنصيب جذع مشترك ثالث (جذع مشترك تكنولوجيا) بالإضافة إلى كل من جذع مشترك علوم وجذع مشترك آداب وهذا على مستوى السنة الأولى ثانوي في حين تم إلغاء شعبة تقني رياضي، مع وجود مسلكيين مسلك ذو مجال ما قبل الجامعي والذي يضم شعب التعليم العام وشعب التعليم التكنولوجي، والمسلك ألتأهيلي الذي سيتم إلغاءه مع إصلاح 1992 و ترسيم ثلاثة جذوع مشتركة ذات مسارات تعليمية تتكون من 13 شعبة.

مما جعل هيكلة التعليم الثانوي أكثر مرونة وتنظيم، حيث سيعمل الإصلاح الشامل للنظام التربوي سنة 2003 على تحسين نوعية التعليم الثانوي حتى يتماشى مع تطلعات المجتمع وتطلعات الشرائح المتمدرسة في تحقيق النجاح الدراسي.

ن.شهادة البكالوريا خلال الألفية الثالثة :

عرف التعليم الثانوي في بداية الألفية الثالثة إصلاحات في المسارات التعليمية، والذي نتج عنه جذعين مشتركين بمسارات تتكون من ستة شعب والتي ظهرت نتائجها سنة 2008 كأول دفعة للتنظيم الجديد.

	الجملة			بكالوريا التعليم العام			بكالوريا التقنية		
	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة	الحاضرون	الناجحون	النسبة
2001	346535	119438	34,47	313319	105630	33,71	33216	13808	41,57
2002	350720	115463	32,92	318781	104989	32,93	31939	10474	32,79
2003	390298	115356	29,56	353755	101280	28,63	36543	17076	38,52
2004	413109	175658	42,52	376487	160600	42,66	36622	15058	41,12
2005	345107	128674	37,29	311396	112935	36,27	33711	15739	46,69
2006	375594	192121	51,15	341933	173203	50,65	33661	18918	56,20

76,63	24316	31733	51,21	183026	357377	53,29	207342	389110	2007
56,48	4243	7513	52,21	218732	418947	52,29	222975	426460	2008
			45,04	110759	245929	45,04	110759	245929	2009
			61,23	212545	347122	61,23	212545	347122	2010
			62,85	218000	346837	62,85	218000	246837	2011
			59,26	227812	384401	59,26	227812	384401	2012
			44,78	171398	382742	44,78	171398	382742	2013

المصدر: مديرية الإحصائيات لوزارة التربية الوطنية

يظهر الجدول رقم (5) نتائج شهادة البكالوريا خلال الألفية وهي الفترة التي تم فيها تطبيق إصلاح التعليم الثانوي وظهور الشعب الستة المتوجة للجذع المشترك علوم وتكنولوجيا والجذع المشترك آداب، في إطار إعادة الهيكلة التي عرفها التعليم الثانوي والتي أتت نتائجها على مستوى شهادة البكالوريا التي عرفت تحسنا منذ دورة 2006 التي شهدت تكفلا بالمقبلين على البكالوريا ودعما بيداغوجيا، حيث سجل التعليم الثانوي العام نسبة نجاح قدرت بـ: 50,65 ٪ كما حقق التعليم الثانوي التقني نسبة 56,20 ٪، لتتواصل النتائج في التحسن خلال دورة 2007 حيث سجل التعليم الثانوي العام نسبة 51,21 ٪ أما التعليم التقني فقد حقق نتيجة معتبرة قدرت بـ: 76,63 ٪، وهي اكبر نتيجة تسجلها شعب التعليم التقني المتجهة نحو الزوال، أما دورة جوان 2008 فقد شهدت أول دفعة للإصلاح بشعبه الستة، والتي قدرت نتائجها العامة بـ: 52.21 ٪ وهي السنة التي شهدت زوال النظام التعليمي السابق بشعبه الثلاثة عشر(13). والذي قدرت نتائجه بـ: 56,48 ٪ ليكون بذلك أخر دفعة في هذا النوع من التعليم. أما دورة 2009 فقد سجلت تراجعا في النتائج حيث قدرت نسبة النجاح بـ: 45,04 ٪، لتتحسن النتائج خلال دورتي 2010 و2011 مسجلة نسبة 61 إلى 62 ٪، أما خلال دورة 2012 فقد سجلت نسبة 59.26 ٪ لتعرف نسبة النجاح انخفاضا خلال دورة 2013 والتي قدرت بـ: 44.78 ٪.

5.التحليل السوسيو ثقافي لظاهرة النجاح لشهادة البكالوريا

ورد في وثيقة إصلاح التعليم الثانوي لسنة 2005 «من البديهي أن إلقاء نظرة شاملة على التطور التاريخي للتعليم الثانوي لا يمكن أن يكون كاملا، لكننا نستنتج بوضوح بأن التعديلات المتعددة التي عرفها هذا الطور هي عبارة عن محاولات لردود فعل مباشرة لظاهرة عدم الانسجام أكثر من كونها منبثقة من مشروع منسجم ذي مظاهر مدروسة مسبقا وانعكاسات محددة». إن غياب المشروع جعلنا نستمر في البحث عن حلول استبدالية بالاعتماد على هيكلة الطور، رغم أن المشكل الأساسي يكمن في مستوى اختيار سياسة تربوية منسجمة، مما جعلنا نستمر في تطبيق فلسفة نخبوية للنظام الموروث لطور معتبر في عدد تلاميذه، إن الغايات المزدوجة المتمثلة في التحضير للشغل والتحضير للتعليم العالي في شعب ومسارات غير مميزة لهذا الطور بعد إلغاء المسارات المهنية، أدت إلى فشل جماعي في نهاية التعليم الثانوي، زيادة على التسرب خلال المسار الثانوي».(وثيقة إصلاح التعليم الثانوي)

لقد تم التوصل إلي هذه النتيجة بعد عديد الدراسات على أسباب الفشل، وأسباب النفور من بعض الأنماط التعليمية وبالأخص منها التعليم التقني، مما تطلب استحداث تعليم ثانوي متجانس، ومستجيب للتطلعات التلاميذ وأولياءهم، وبالأخص تحقيق النجاح في شهادة البكالوريا باعتبارها بمثابة اعتراف اجتماعي للفرد وأسرته على تفانيه واجتهاده في اكتساب المعرفة.

بالإضافة إلى أن الإصلاحات المكثفة المتصلة بالتقويم والبيداغوجيا وتحسن نوعية التعليم على مستوى الثانويات، والتي أصبحت تهتم بالنتائج كما ونوعا مما جعلها تعمل باستمرار على توفير مناخ دراسي ملائم ومساهم في تحصيل النتائج الجيدة.

وشهادة البكالوريا تشكل وضعية خاصة في النظام التربوي الجزائري، ولا يمكن تفسيرها إلا بفهم الإطار العام للمشروع التربوي في ظل ارتباطه الوثيق بوضعية المجتمع الجزائري ككل، حيث يفسر بوسنه (2009) الوضعية المذكورة أنفا بشكل أكثر إجرائية بقوله:

إن عدد الحاضرين في امتحان البكالوريا في الستينات كان أقل من عشرة آلاف مترشح، وقد عرف عدد المترشحين تزايد من عشرية لأخرى حيث وصل في بداية السبعينات (1973) إلى أكثر من 17 ألف وفي بداية الثمانينات إلى أكثر من 50 ألف، وفي بداية التسعينات إلى أكثر من 250 ألف، وفي بداية القرن الحالي إلى أكثر من 300 ألف.

ويواصل قوله بأن انخفاض نسب النجاح في البكالوريا في الثمانينات والتسعينات وبداية الألفية الحالية يمكن إرجاعه إلى أن مجهود الوصاية كان موجها بالأساس إلى إنجاح عملية تعميم سنوات التعليم الأساسي، كما أن التعليم الثانوي عرف عدم استقرار من حيث الهيكلة والبرامج والأهداف وهذا منذ 1984 إلى غاية 2005، ويمكننا القول أن التعديلات المتعددة التي عرفها هذا التعليم هي ناتجة عن عدم وجود مشروع منسجم ومع ازدواجية الهدف، حيث أصبح حسب إصلاح 1984و1992 يرمي إلى التحضير إلى عالم الشغل والتحضير إلى التعليم العالي في شعب ومسارات متعددة معا، مما أدى في النهاية إلى الفشل في تحقيق الهدفين؛ بالإضافة إلى أن سياسة الانتقال في الثمانينات والتسعينات كانت مرنة جدا مما أدى إلى تمكين عدد معتبر من التلاميذ من الوصول إلى القسم النهائي بمعدلات جد ضعيفة حيث كانت تراوح معدل 20/05، وهذه السياسة التقويمية أثرت تأثير ايجابي على نسبة ارتفاع عدد الحاضرين في التسعينات وبداية الألفية الحالية، لكن تأثيرها كان سلبي على نسب النجاح في البكالوريا وذلك لان هؤلاء التلاميذ لم يكن لديهم التكوين المناسب للوصول إلى هذا المستوى وبالتالي رسوبهم في الامتحان كان منتظر.(بوسنة محمود، 2009، ص18)

غير انه ومع نهاية التسعينات وبدخول المنشور رقم1998/1011 والذي نص على ضرورة إعادة النظر في أساليب التقويم في جميع المستويات، بدأت نتائج التعليم الثانوي تتغير تدرجيا بالإضافة إلاصلاح الذي شرع فيه منذ الموسم الدراسي 2003/2002 حيث جاءت إصلاحات التعليم الثانوي هيكلية وتنظيمية؛ وهذا ما انعكس بالإيجاب على نتائج 2004 التي سجلت نسبة 42.52 ٪ لتعرف تحسنا أخر سنة 2006 والمقدرة بـ: 51.15 ٪ مع العلم أنه ومنذ منتصف العشرية الأخيرة أخذ الاهتمام بالأقسام النهائية شكل مكثف من طرف الفرق التربوية على مستوى الثانويات، وقد نص المنشور الصادر عن وزارة التربية الوطنية في 2006/11/20 على ضرورة التكفل بتلاميذ الأقسام النهائية من خلال تنظيم وتفعيل العمل البيداغوجي والذي يستدعي تنظيم حصص الدعم والتقوية وتنظيم المذاكرة المحروسة والمراجعة ضمن أفواج والتخفيف من حدة ضغط الامتحان.(التكفل بتلاميذ الثالثة ثانوي، المنشور رقم 06/526 وزارة التربية الوطنية)

وهذه إلاجراءات التي اتخذها المسئوولون للرفع من أهمية هذا الامتحان أتت ثمارها حيث لاحظنا في السنوات الأخيرة تشجيعات وتهديدات ومساعدات غير مسبوقة للمسئوولين للمؤسسات التربوية من أجل بذل كل المجهودات وخلق الشروط المناسبة لرفع نسب النجاح في الشهادات الوطنية. .(بوسنة محمود، 2009)

وعليه فإن النجاح هو فعل مدرسي بالدرجة الأولى، وهو مهمة بيداغوجية منوط بها، مما يجعل المدرسة مطالبة بالعمل على التخفيف من حدة تأثير العوامل المؤثرة على النجاح الدراسي للفاعلين المتمدرسين، خاصة وأن التلاميذ في المرحلة الثانوية حساسون جدا بالنظر لعمرهم الزمني الذي يتسم بالصعوبات الفسيولوجية والنفسية، بإلاضافة لأجواء المدرسة التي قد لا تكون عادلة في بعض الأحيان، وهذا قد يؤثر على مواقفهم وتكيفهم بل على تعلمهم وبالتالي على نجاحهم.(charlot B., 1990)

غير أن النجاح الدراسي في هذه المرحلة يتزامن مع مرحلة نمو أخرى أكثر تعقيدا في حياة الفرد وهي المرحلة التي تتسم بالصراعات النفسية و الصعوبات الفسيولوجية خاصة وأن التلاميذ في المرحلة الثانوية حساسون جدا بالنظر لعمرهم الزمني الذي يتسم بالبحث عن الذات، من حيث الجوانب التربوية والشخصية، حيث يكون للمدرسة في هذ السن تأثير قوي في تشكيل مفهوم الذات عند المراهق، "من حيث هو ومن سيكون" فهو مطالب باكتساب المعرفة حتى يضمن الانتقال من مرحلة تعليمية إلى أخرى والتي تستمر لمدة ثلاث سنوات يعمل خلالها التلاميذ على تحصيل المعارف وتحقيق النتائج. مما يجعل النجاح في هذه المرحلة وبالتحديد في امتحان البكالوريا هو تجسيد لمشروع التكوين وتحضيرا للمشروع المهني وسعيا للمشروع الشخصي الذي عبر عنه شاربوتي Charpentier 1993 بمشروع التحقيق الاجتماعي للذات.
(Charpeutier, chever et collin, 1993)

مما يعطي للنجاح في شهادة البكالوريا بعد اجتماعي وثقافي نظرا لحرص الأولياء على نجاح أبنائهم لتحقيق مكانة اجتماعية. (Dubet, D et al,1991) التي تؤدي إلى الترقية الأفقية للأسرة والتي لا يمكن تحقيقها إلا عبر الترقية العمودية بفضل النجاح الدراسي للأبناء. (بن صافية عائشة، 2011) لتكون بذلك البكالوريا تلك الشهادة الحاملة لقيم اجتماعية واقتصادية بإلاضافة للقيم التربوية، حيث يمثل النجاح في البكالوريا أول محفز للاندماج الاجتماعي للفرد باعتبارها مفتاح الولوج لعالم الشغل وتبوء مكانة مهمة حسب ما خلص اليه ادموند قوبلوا عندما وصف الحامل لشهادة البكالوريا بالشخص المقبول في الطبقة الاجتماعية وفردا ممثلا لنخبة المجتمع، وهذا ما خلصت إليه لبنى زعرور في دراسة لها حول العوامل المفسرة للنجاح في شهادة البكالوريا (2004) حيث أرجعت النجاح في شهادة البكالوريا إلى بعض القيم والمزايا التي تتمتع بها هذه الشهادة على الصعيد الاجتماعي، باعتبارها محصلة النشاطات الفردية، حيث أن مستوى التعليم المحصل عليه من قبل الفرد يكسبه مجموعة من المكتسبات

المعرفية بالإضافة للقدرات والمهارات والقيم، ومواقف تترجم إلى كفاءات تضمن للمكون مكانة اجتماعية ومستوى معين من الدخل، وهذا ما يدفع كثير من المتحصلين على شهادة البكالوريا إلى البحث أكثر فأكثر على رفع مستواهم، وهذا ما يترجم النسب المتزايدة للمقبلين على التعليم العالي، وهذا ما وفر للبكالوريا قيمة تعاقدية منحدرة من الاعتراف الاجتماعي بالشهادة، نظرا لعلاقتها المباشرة بالعديد من منافذ العمل لما تضمنه للفرد والأسرة من رواج وتألق يرافق الحصول على البكالوريا في أوساط المجتمع المختلفة. لأنها تعكس ليس فقط نجاح التلميذ بل نجاح الأسرة ذاتها، وما توفره لها من دخل وهذا ما تؤكده نظرية الموارد البشرية لـ : بيكر Beecker حيث أوضحت أن التربية والتكوين بمثابة استثمارات شخصية وهذا هو الحال بالنسبة للتلميذ الذي يواصل الدراسة بالطور الثانوي بغية الحصول على البكالوريا وتأمين منصب مهني واجتماعي مؤسس على المعرفة والثقافة.

وهي معايير اجتماعية يكتسبها الفرد خلال مسار التكوين الذي يأتي بعد النجاح في شهادة البكالوريا، هذه الأخيرة وغيرها من الشهادات التي تليها، والتي توفر لمكتسبيها قيمة اجتماعية هامة، بل إن شهادة البكالوريا تمثل رأسمال دائم للفرد عبر تمكينه من القدرة على التعايش داخل المؤسسات الاقتصادية، من خلال عمله على احترام الالتزام المهني وفهمه لمعنى الانضباط والنزاهة، كما يكسبه النجاح الدراسي والمهني قيم اجتماعية مؤسساتية تمده بالقوة على التأقلم والتكيف مع التغيرات التنظيمية والتمتع بالاندماج الاجتماعي الذي يمثل هدف محوري للنظام التعليمي الذي يكون بذلك قد نجح في مهمته التربوية والاجتماعية.

الخاتمة

وباعتبار النجاح الدراسي فعل بيداغوجي يعايشه الفرد بالمدرسة باعتبارها إطارا اجتماعيا للمعرفة، فإن النجاح في الشهادات يفضي إلى الولوج لعالم المعرفة والتكوين على مستوى أعلى، بالإضافة إلى الشعور بالنجاعة والفعالية الاقتصادية، وباعتبار النجاح الدراسي حالة نابعة من الذات الفردانية، يمكنها أن تتأثر بالعوامل الغير ذهنية ولكن ليس بشكل قطعي وليس بنفس الصورة في كل المجتمعات، لان إرجاع النجاح الدراسي إلى عوامل غير ذهنية وغير مدرسية قد ينقص من الدور المنوط بالمدرسة باعتبارها مؤسسة تعمل على مساندة جميع الأفراد في مسارهم الدراسي بغض النظر عن أصولهم الاجتماعية ووضعياتهم الاقتصادية، وهذا ما خلصت اليه دراسة أجريت

على عينة عشوائية مكونة من مجموعة من المدارس الابتدائية بولاية ميشيغان ألأمريكية وذلك لمعرفة أثر كل من متوسط المكانة الاجتماعية والاقتصادية، والتركيبة إلاتنية للمدرسة، على تحصيل التلاميذ ونجاحهم الدراسي.

وقد بينت الدراسة أن هذه المتغيرات لديها دور بسيط في الاختلافات في مستوى التحصيل، بل يرجع الجانب الأكبر من الفروق في التحصيل والنجاح الدراسي في الشهادات إلى النواحي الاجتماعية في البيئة المدرسية أو ما يسمى المناخ المدرسي. (Owens R, 1981. p 230)

لذلك فإن المدرسة مطالبة بمساعدة جميع أفرادها ومرافقتهم كل الحالات للوصول بها إلى تحقيق النجاح، حتى يكون لمفهوم «التربية لجميع» وجود محوري في نظامنا التربوي وحتى نؤسس لثقافة النجاح.

المراجع

1– بوسنة محمود، 2009. تأملات حول مدى فعالية إلاصلاحات التربوية في الجزائر: من خلال بعض المؤشرات المتصلة بالمخرجات، مجلة دفاتر المخبر، جامعة بسكرة العدد 05.

2– بن صافية عائشة، 2012. تطور النجاح في شهادة البكالوريا في النظام التربوي الجزائري، مجلة دفاتر علم الاجتماع، العدد 08، جامعة الجزائر2.

3– بن صافية عائشة، 2011. إستراتيجية تصور وبناء المشاريع المهنية لدى تلاميذ الأقسام النهائية، دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي، جامعة الجزائر2.

4– تقرير الرصد العالمي للتعليم للجميع، 2002. التعليم للجميع هل يتقدم العالم في المسار الصحيح، إصدار اليونسكو.

5– زعرور لبنى، 2004. العوامل المفسرة للنجاح في شهادة البكالوريا، منشورات مخبر الاقتصاد وإدارة الأعمال، فعاليات الملتقى الوطني حول مؤشرات التربية، قسنطينة.

6– التكفل بتلاميذ الثالثة ثانوي، المنشور رقم 06/526 وزارة التربية الوطنية.

7– تقرير وزارة التربية الوطنية، 2005. دراسة حول إعادة هيكلة التعليم ما بعد إلالزامي في الجزائر.

8-Oget D., 1993. La relation entre l'évaluation finale et le contrôle en coures de formation au Baccalauréat, monde de l'éducation, n° 94.

9-Dubet, D. et al, 1991. Sociologie de l'expérience lycéenne, revue française de pédagogie, Paris.

10-charlot B, 1990. Penser l'échec comme événement penser L'immigration comme Histoire, migrants formation, N 81 juin.

11-Charpeutier, chever et collin, L'orientation au projet de l'élève, 1993.

12- Le baccalauréat : repères historique, ministère d'éducation nationale, 2007, www.éducation.group. Fr

13- Edmond Goblot (1925) La barire et le niveau, Étude sociologique sur la bourgeoisie française moderne, version numérique par Denis ANNE, bénévole, professeur de sciences sociales à Lille, France. Courriel: d.anne@wanadoo.fr

14- Owens, R. G. (1998). Organizational behavior in education. New Jersey : Prentice Hall.